وهو ما حير عقول الطبايعيين حيث كان مقتضى الطبيعة ان يغمرها
كثرة الماء فيبرز منه جانب منها على الماء على خلاف مقتضى الطبيعة وكونه
هذا الجانب المعين دون غيره مع استوا الجوانب في الشكل الكري يقتضي
تخصيصا فلم يجدوا ابدا بان يقولوا عناية الصانع اقتضت ذلك فلنا
فنوا ذلك ولكن عناية من لا مشيئة له ولا ارادة ولا اختيار ولا علم بمعين
اصلا كما تقولونه فيه محال فعنايته تقتضي ثبوت صفات كماله ونعوت
جلاله وانه الفعال بفعل باختياره ما يريد وكذلك النفس اقسم بها وبمن
سواها والهمها فجورها وتقواها فان من الناس من يقول
قديمة لا مبدع لها ومنهم من يقول بل هي التي تبدع فجورها وتقواها
فذكر سبحانه انه هو الذي سواها وابدعها وانه هو الذي الهمها الفجور
والتقوى فاعلمنا انه خالق نفوسنا واعمالها وذكر لفظ التسوية كما ذكره
في قوله ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك وفي قوله فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي ايذانا بدخول البدن في لفظ النفس كقوله
وهو الذي خلقكم من نفس واحدة وقوله فسلموا على انفسكم ولا تقتلوا
انفسكم ولولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا ونظايره
وباجتماع الروح مع البدن تصير النفس فاجرة او تقية والا فالروح
بدون البدن لا فجور لها وقوله قد افلح من زكاها الضمير من نوع في زكاها
عايد على من وكذلك هو في دساها والمعنى قد افلح من زكى نفسه وقد خاب
من دساها هذا هو القول الصحيح وهو نظير قوله قد افلح من تزكى وهو
سبحانه اذا ذكر الفلاح علقه بفعل المفلح كقوله قد افلح المؤمنون الذين هم
في صلاتهم خاشعون الى اخر الايات وقوله الذين يؤمنون بالغيب و
يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون الى قوله اولئك هم المفلحون

وقوله

وقوله انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا
سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون ونظايره قال الحسن قد افلح من
زكى نفسه وحملها على طاعة الله وقد خاب من اهلكها وحملها على معصية
الله وقاله قتادة وقال ابن قتيبة يريد افلح من زكى نفسه اي انماها
واعلاها بالطاعة والبر والصدقة واصطناع المعروف وقد خاب من دساها
اي نقصها واخفاها بترك عمل البر وركوب المعاصي والفاجر ابدا خفي المكان
زمن المروة غامض الشخص ناكس الراس فكان المتصف بارتكاب الفوا
حش دس نفسه وقمعها ومصطنع المعروف شهر نفسه ورفعها وكانت اجواد
العرب تنزل الربى ويفاع الارض لتشهر انفسها للمعتفين وتوقد النيران
في الليل للطارقين فاولئك اعلوا انفسهم وزكوها واولئك اخفوا انفسهم
ودسوها وانشد

وكانت اللئام تنزل الاولاج والاطراف والاهضام ليخفى اماكنها على الطالبين

وبوأت بيتك في معلم … رحيب المباحات والمسرح
كفيت العفاة طلاب القرا … ونبح الكلاب لمستنبح

وقال ابو العباس سالت ابن الاعرابي عن قوله وقد خاب من دساها
فقال دس معناه دس نفسه مع الصالحين وليس منهم وعلى هذا فالمعنى اخفى
نفسه في الصالحين يري الناس انه منهم وهو منطو على غير ما ينطوي عليه
الصالحون وقال طايفة اخرى الضمير يرجع الى الله سبحانه قال ابن عباس في
رواية عطاء قد افلحت نفس زكاها الله واصلحها وهذا قول مجاهد وعكرمة
والكلبي وسعيد ابن جبير ومقاتل قالوا سعدت نفس وافلحت نفس اصلحها
الله وطهرها ووفقها للطاعة حتى عملت بها وخابت وخسرت
نفس اضلها الله واغواها وابطلها واهلكها قال ارباب هذا القول قد
اقسم الله بهذه الاشياء التي ذكرها لانها تدل على وحدانيته وعلى فلاح

ابلغ الضمير

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)